الوطن
الخميس 30 يوليوز 2026 – العدد: 1136
anfaspress www.anfaspress.com anfaspress

نور محمد رضا، أستاذ الجغرافيا السياسية، والعلاقات الدولية، والقانون الدولي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، الرئيس المؤسس للمركز المغربي للدراسات الإفريقية والتنمية المستدامة (CMEADD)

المغرب نجح في حسم النزاع لأنه لم يتعامل مع قضية الصحراء باعتبارها ملفاً قانونياً معزولاً، بل جعلها جزءاً من استراتيجية شاملة

كيف تفسر نجاح المغرب، في ظل موازين القوى لصالحه في قضية الصحراء، خلال المدة الأخيرة؟

● نجح المغرب لأنه لم يتعامل مع قضية الصحراء باعتبارها ملفاً قانونياً معزولاً، بل جعلها جزءاً من استراتيجية شاملة تقوم على ما اسميه في مؤلفي «السياسة الخارجية للمغرب في عهد محمد السادس 1999-2025: التحوط المؤسسي والإنتاج المتعدد للاعتماد المتبادل»، الصادر سنة 2026، بناء شبكة من المصالح والشراكات التي تعزز الموقع الاستراتيجي للمملكة.

فالمغرب ربط علاقاته مع شركائه بالأمن والاستثمار والهجرة والطاقة ومكافحة الإرهاب والتعاون الإفريقي والربط الأطلسي. وبذلك أصبحت قضية الصحراء جزءاً من منظومة مصالح متبادلة، وأصبح دعم استقرار المغرب ووحدته الترابية منسجماً مع المصالح الاستراتيجية لعدد متزايد من الدول.

كما انتقل المغرب من رد الفعل إلى العمل الاستباقي، فجمع بين الاعترافات الصريحة بمغربية الصحراء، ودعم الحكم الذاتي، وفتح القنصليات، وتطوير الأقاليم الجنوبية، وتعزيز حضوره داخل الاتحاد الإفريقي، وتوسيع شراكاته الاقتصادية والأمنية.

وتكمن قوة هذه الاستراتيجية في أنها لم تعتمد على التاريخ والخطاب الدبلوماسي فقط بل قدمت حلاً قابلاً للتفاوض والتنفيذ، يقوم على مؤسسات جهوية منتخبة، واختصاصات واسعة، وضمانات دستورية وقضائية، مع احتفاظ الدولة باختصاصات السيادة.

لقد نقل المغرب النقاش الدولي من التنافس بين الروايات التاريخية إلى المقارنة بين الحلول الواقعية. وعند قياس الخيارات بمدى قابليتها للتطبيق، وقدرتها على حماية الاستقرار وضمان مشاركة السكان، تتقدم المبادرة المغربية بوضوح.

في هذا السياق، هل يمكن اعتبار سنة 2026 «عام السيادة» في قضية الصحراء المغربية؟

● طبعا..يمكن وصف سنة 2026 بـ «عام السيادة» لأنها تؤشر إلى انتقال المغرب من مرحلة تثبيت مشروعية موقفه إلى مرحلة التفاوض حول الترجمة القانونية والمؤسساتية للحكم الذاتي تحت السيادة المغربية.

يستند هذا التحول إلى القرار 2797 الصادر عن مجلس الأمن في 31 أكتوبر 2025. فقد أكد المجلس أن الحكم الذاتي الحقيقي تحت السيادة المغربية يمكن أن يشكل الحل الأكثر قابلية للتطبيق، ودعا إلى التفاوض انطلاقاً من المبادرة المغربية، مع تمديد ولاية المينورسو إلى 31 أكتوبر 2026. وبذلك أصبحت المبادرة المرجعية الأساسية للدينامية التفاوضية الجديدة.

كما تعزز الحضور الدولي للسيادة المغربية من خلال الاعترافات الصريحة، ودعم القوى المؤثرة للحكم الذاتي، وفتح القنصليات في العيون والداخلة، وإدماج الأقاليم الجنوبية في الشراكات الاقتصادية والاستثمارية ومشاريع الربط الأطلسي والطاقة والبنيات التحتية.

لذلك، تمثل سنة 2026 مرحلة الانتقال من تثبيت السيادة سياسياً ودبلوماسياً، إلى إعداد شروط ممارستها ضمن نظام حكم ذاتي متقدم يجمع بين الوحدة الترابية والتدبير الديمقراطي للشؤون المحلية.

لسنوات، لم يتعامل المجتمع الدولي مع الجزائر كطرف فعلي في النزاع، فكيف تنظر إلى هذا التطور وما مدى تأثيره؟

● أصبح المجتمع الدولي يتعامل مع الجزائر باعتبارها طرفاً رئيسياً وفعلياً في النزاع، لأن مستوى انخراطها السياسي والدبلوماسي والعسكري يتجاوز وضع الدولة المجاورة أو المراقب الخارجي.

وقد كرس القرار 2797 مركزية هذا الدور عندما أدرج الجزائر بالاسم، إلى جانب المغرب والبوليساريو وموريتانيا، ضمن المشاورات التي يقودها المبعوث الشخصي للأمين العام. ولا يمثل هذا الإدراج مجرد ترتيب إجرائي، بل يعكس موقع الجزائر داخل البنية السياسية والاستراتيجية للنزاع.

فالجزائر تستضيف مخيمات تندوف، وتوفر للبوليساريو عمقاً ترابياً وسياسياً ودبلوماسياً وعسكرياً، وتمتلك قدرة مباشرة على التأثير في خياراته. كما أكدت مشاركتها في جولات مدريد وواشنطن خلال سنة 2026 أن القوى الراعية للمسار تتعامل معها بوصفها فاعلاً أساسياً في التسوية.

ومن منظور العلاقات الدولية، تتحدد صفة الطرف بمستوى التأثير الفعلي في استمرار النزاع وإمكان إنهائه، لا بالوصف الذي تمنحه الدولة لنفسها. وفي الحالة الجزائرية، تكتلف طبيعة الدعم، واستضافة المخيمات، والمشاركة التفاوضية، والانخراط الدبلوماسي المستمر عن مسؤولية سياسية مباشرة داخل بنية النزاع.

ويترتب على ذلك أن أي تسوية جدية تحتاج إلى التزامات جزائرية واضحة تتعلق بإنجاح المفاوضات، وعودة سكان المخيمات، والترتيبات الأمنية، ونزع السلاح، وضمان عدم عرقلة تنفيذ الحل السياسي.

ماذا يبقى أمام البوليساريو في ظل هذه التحولات الدولية، وفي ظل اتساع رقعة المطالبة بتصنيفها كمنظمة إرهابية؟

● أصبحت الخيارات المتاحة أمام البوليساريو محدودة. فقد تراجعت مركزية الاستفتاء الثنائي بصيغته القديمة، وأصبح الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية محور الدينامية الجديدة داخل مجلس الأمن، بينما يرفع استمرار العمل المسلح واستهداف المجالات المدنية مستوى التعرض القانوني والأمني للحركة.

وكما أوضح في مؤلفي الجاري إعداده للنشر، «جبهة البوليساريو أمام عتبات الإرهاب»، لم يعد تقييم البوليساريو مقتصراً على خطابها السياسي، بل

نور محمد رضا

أصبح يشمل بنياتها المسلحة، وسلسلة القيادة، والأهداف المتضررة، والتمويل، والدعم المادي، والتسهيلات اللوجستية، وعلاقاتها الخارجية.

وتقوم الفكرة المركزية للمؤلف على أن إعادة التكييف لا تبدأ بالضرورة بتصنيف الحركة ككل منظمة إرهابية. فالطريق الأكثر صلابة يبدأ بتوثيق الأفعال وتحديد الوحدات والقادة والممولين والوسطاء والشبكات اللوجستية. وعندما تثبت صلتها باستهداف المدنيين، أو بالدعم المادي، أو بنقل الأسلحة، أو بالتعاون مع جهات مصنفة، يصبح الانتقال إلى العقوبات المستهدفة وإعادة التكييف الجزئي ممكناً، وقد ينتهي إلى التصنيف التنظيمي الشامل عند تحقق المستوى الأعلى من الأدلة.

ويمثل استهداف مدينة السمارة نقطة مهمة في هذا المسار الإثباتي، لكن بناء ملف قانوني متين يقتضي تحديد الوحدة المنفذة، ونقطة الإطلاق، والوسيلة المستخدمة، والقصد، وسلسلة القيادة، والمسؤولية القريبة أو القيادية.

وفي الكونغرس الأمريكي، انتقل الموضوع إلى مسار تشريعي منظم. فقد طلب مشروع H.R. 4119، المقدم في 24 يونيو 2025، تقييم مدى استيفاء البوليساريو شروط التصنيف منظمة إرهابية أجنبية، وفحص إمكان فرض عقوبات عليها، إلى جانب التحقيق في عملياتها العسكرية ودعمها الخارجي وإمكان استهدافها المدنيين عمداً.

كما ربط مشروع S. 4063، المقدم إلى مجلس الشيوخ في 11 مارس 2026، فرض التصنيف والعقوبات بإثبات تعاون البوليساريو مع تنظيمات إرهابية مرتبطة بإيران، بما يشمل الدعم العسكري والأسلحة والطائرات المسيرة والمعلومات الاستخباراتية.

هذه المشاريع لا تعني أن التصنيف صدر بالفعل، لكنها تكشف عن انتقال نوعي في النظرة إلى البوليساريو داخل مؤسسات أمريكية مؤثرة. وأصبحت الحركة أمام خيارين: الانخراط الجدي في التفاوض حول حكم ذاتي متقدم، أو مواصلة مسار قد ينتقلها تدريجياً من مخاطب سياسي إلى موضوع للعقوبات وإعادة التكييف الأمني.

○ يمكن القول إن النزاع انتقل الى مرحلة الحسم بعد هذه التطورات؟

● أصبح النزاع أقرب إلى التسوية من أي وقت مضى، لأن الإطار السياسي للمفاوضات تغير بصورة جوهرية. فقد أصبحت مبادرة الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية نقطة الارتكاز الأساسية، بينما أعادت الجولات الثلاث، جولتان في واشنطن وجولة في مدريد، جمع المغرب والجزائر وموريتانيا والبوليساريو داخل مسار تفاوضي تدعمه الولايات المتحدة والأمم المتحدة.

وتكمن أهمية هذه الجولات في أنها تجاوزت مرحلة الاتصالات المنفصلة، وبدأت تبحث في خارطة طريق وإطار تفاوضي يمكن أن يقود إلى تسوية سياسية. كما تعكس مشاركة الجزائر اعترافاً عملياً بأنها طرف رئيسي، وأن إنهاء النزاع يقتضي التزامات مباشرة منها.

لكن نهاية النزاع لن تتحقق بمجرد انعقاد الاجتماعات. فالمرحلة المقبلة يجب أن تنتقل من الاتفاق على مرجعية الحكم الذاتي إلى التفاوض حول هندسته القانونية والمؤسساتية، وخصوصاً:

• تحديد اختصاصات الجهة والاختصاصات المشتركة؛
• وضع الضمانات الدستورية والقضائية؛
• إنشاء المؤسسات التشريعية والتنفيذية الجهوية؛
• تنظيم الموارد والتمويل والتضامن الوطني؛
• إعداد ترتيبات العودة والإدماج والمصالحة؛
• وضع آليات نزع السلاح والتسريح وإعادة الإدماج؛
• تحديد دور الأمم المتحدة في المواكبة والتحقق؛
• توفير ضمانات إقليمية لعدم عرقلة التنفيذ.

لقد أصبح النزاع قريباً من نهايته من حيث تحول موازين القوى وتحديد الإطار الأكثر قابلية للتطبيق. أما التسوية النهائية، فتتوقف على قدرة الأطراف على تحويل المرجعية السياسية الجديدة إلى اتفاق قانوني ومؤسساتي قابل للتنفيذ.

وما بعد 2026 لن يكون مرحلة البحث عن حل جديد، بل مرحلة اختبار الإرادة السياسية لتفعيل الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية.

بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة على عرش أسلافه المنعمين،
تتشرف المديرة العامة لمكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل، أصالة عن نفسها
ونيابة عن كافة أطر ومستخدمي المكتب، أن تتقدم إلى السدة العالية بالله،
جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، بأزكى التهاني وأطيب الأماني
بدوام موفور الصحة والعافية وموصول السعادة والسؤدد.
سائلة العلي القدير أن يبارك في عمر أمير المؤمنين ويقر عينه بصاحب السمو الملكي
الأمير مولاي الحسن والأميرة الجليلة لالة خديجة والأمير المولى رشيد وكافة أعضاء الأسرة الملكية المجيدة
بالخير والمسرات. كما تغتنم هذه المناسبة لتجديد الولاء الدائم
والتعلق المتين بأهداب العرش الكريم تحت القيادة الرشيدة لمولانا المنصور بالله.

مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل
اطرق الأمل أمامك

مدن المهن والكفاءات
HEAXO I ⊾XXDIB A HOXGO
Cités des Métiers et des Compétences